[٣٨٧ – عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (قال سليمان بن داوود – عليهما السلام –: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله. فقيل له: قل إن شاء الله. فلم يقل، فطاف بهن: فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان). قال: فقال رسول الله ﷺ: (لو قال : "إن شاء الله" لم يحنث، وكان ذلك دركاً لحاجته).

قوله: (فقيل له: قل إن شاء الله) يعني: قال له الملك].

هذا الحديث الشريف اشتمل على مشروعية الاستثناء في اليمين، والاستثناء: إخراج بعض ما يتناوله اللفظ. تقسم على شيء وتستثني، فإما أن تستثني على سبيل المشيئة بأن تقول: "إن شاء الله" فحينئذ: لا تحنث إذا لم تفعل الشيء، أو حلفت أن لا تفعله فلا تحنث إذا فعلته، وهذا على ظاهر الحديث الذي معنا أن الاستثناء بقولك: "إن شاء الله" نافع، وظاهر الحديث: أنك لو استثنيت نفعك الاستثناء – سواء نويت الاستثناء قبل اليمين، أو طرأ لك الاستثناء بعد اليمين –، بشرط أن يكون متصلًا لا منفصلًا، وتوضيح ذلك: أن من استثنى له صورتان:

الصورة الأولى: أن تحلف، وقبل أن تحلف وتباشر اليمين تنوي أن تستثني، فأنت تريد أن تشتري شيئًا تقول قبل أن تحلف، تنوي في قلبك أنك ستحلف وتعلق على مشيئة الله ﷻ، فتقول: والله لأشترين دارًا، أو هذه الأرض، أو هذه السيارة، أو هذه العمارة إن شاء الله، فإذا قلت: "إن شاء الله" قلتها وقد سبق اليمين نية الاستثناء، فحينئذ: ينفعك الاستثناء في قول جماهير العلماء – رحمهم الله – والأئمة، والحديث دال عليه.

الصورة الثانية: أن تقول: "والله أشتري هذه الأرض" ثم يطرأ عليك وتقول: "إن شاء الله". أو تقول: والله لا أذهب اليوم إلى المكتب، أو إلى العمل، أو لا أذهب إلى فلان، ثم يطرأ عليك ثم تقول: "إن

شاء الله" وتستدرك، فهذا الاستدراك بالمشيئة جاء بعد اليمين جاء متصلًا بها، فإذا جاء متصلًا بها: فظاهر السنة أنه يفيد؛ لأن الملك قال لسليمان – عليه السلام –: **[(قل: إن شاء الله)]** بعد أن حلف، وهذا يدل على أن الاستثناء مؤثر إذا كان بعد اليمين وعقب اليمين مباشرة – سواء نواه أو لم ينوه –، وهذا هو أصح قولي العلماء – رحمهم الله –.

هذا الاستثناء استثناء تعليق، وهناك استثناء يأتي بمعنى الإبطال، كما في العدد تقول: "والله لأعطينك عشرة ريال إلا عشرة ريال" فهذا إلغاء "لأعطينك عشرة إلا عشرة"، وهو استثناء الكل من الكل، فهذا لا ينفع في قول طائفة من العلماء، لا في الطلاق ولا في اليمين، فمن قال لامرأته: "أنت طالق ثلاثًا إلا ثلاثًا" فإنه لا ينفعه قوله: إلا ثلاثًا؛ لأنه يرفع الطلاق أصلًا، والطلاق قد وقع بقوله: "أنت طالق"، ومن هنا إذا قال: "والله لأعطينك عشرة إلا عشرة"، وهو يقول: "والله لأعطينك" وقد جزم أنه معطي، فإذا قال: "عشرة إلا عشرة" كأنه يقول: والله لأعطينك ولا أعطينك، وهذا تناقض! فأسقط الثاني؛ لأن الأول ثابت، والثابت الأول – وهو قوله: عشرة – لا يرتفع بعد ذلك بالاستثناء الباطل، ومن هنا: الاستثناء إما أن يكون استثناء بالأكثر، وإما أن يكون استثناء بالأقل، وإما أن يكون استثناء مساويًا، وهذا في الأجزاء التي تقبل التقسيم، كقوله: "والله لأعطينك عشرة إلا خمسة" هذا مساوي، فالذي سيعطيه يساوي الذي لا يعطيه إياه، ويكون بالأكثر: كأن يقول: "والله لأعطينك عشرة إلا تسعة" فيعطيك ريالًا واحدًا، أو "لأعطينك عشرة إلا ثمانية" أي: أعطيك ريالين، وهكذا إذا قال: "إلا سبعة" فثلاثة، فاستثنى الأكثر، استثناء الأكثر الصحيح: أنه ينفع، فلو قال: "والله لأعطينك مئة إلا ستين" صح ولزمه أن يعطي الأربعين، وذلك لأن الله – تعالى – قال: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ فلما قال – تعالى –: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ هذا عموم استثنى منه الأكثر، فقال: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ والغاوون من الخلق أكثر من الصالحين؛ لأن الله يقول: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ

حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ فدل على أن المؤمنين قلة، والسنة تؤكد هذا وأن بعث النار تسعمئة وتسعة وتسعين من الألف، وهذا يدل على أن الغاوين أكثر من المؤمنين، فاستثنى الله الأكثر وأبقى الأقل، وعلى هذا: صح أن يقول: "والله لأعطينك عشرة إلا تسعة" وهذا إذا نوى أن يعطيه واحدًا فيقول: "لأعطينك مئة إلا تسعة وتسعين" فحينئذ ينفعه، كما لو قال: "والله لأعطينك واحدًا". فأصح الأقوال: أن الاستثناء في الأجزاء إذا كان للأكثر أو للأقل أنه صحيح، والسنة في هذا الحديث دلت على مشروعية الاستثناء، وأيضًا التعليق بالمشيئة، وهذا هو المنبغي: أن الإنسان إذا أسند أي شيء للمستقبل – والله لأفعلن كذا، أو لأتركن كذا – يقول: "إن شاء الله" حتى ولو كان في أمور الطاعة فعلًا، أو أمور المعصية تركًا فقال: "والله لا أفعلن كذا" فيقول: "إن شاء الله"؛ لأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سيبرأ من الحول والقوة ويسند ذلك إلى مشيئة الله ﷻ وتوفيقه.

وفي هذا الحديث – أيضًا – دليل على فضل القصة وخاصة قصص الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم –، حيث قص النبي ﷺ قصة هذا النبي الكريم سليمان بن داود – عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام –، واشتملت هذه القصة – مع كونها فيها عبرة – اشتملت على حكم شرعي، وكثير من القصص في القرآن مع أنها قصة قد تأتي قصة لكن قد يوجد فيها من الأدلة ما لا يوجد في غيرها، بل قد يوجد فيها ما هو أصل وتوجد فيها أصول أبواب العلم، كقوله تعالى: ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ هذه الآية أصل في مشروعية الوكالة في البيع والشراء وفي القيام بالمعاملة المالية. وكذلك قصة موسى مع الخضر وما فيها من الأحكام، حتى في مسائل الأوقاف فرعوها في كسر السفينة على جواز إتلاف بعض المال لاستصلاح الكل، أو بيع جزء من أوقاف اليتامى والفقراء لاستصلاح الباقي، ونحو ذلك من القصص في كتاب الله وسنة النبي ﷺ مما فيه الكثير من الأحكام والفوائد، وهذه نعمة من الله ﷻ: أن الله – تعالى – جعل لنا في قصص الأنبياء العبرة العظيمة والفائدة التامة الكاملة، الأمر الذي يحتم على العلماء والمصلحين والهداة

والدعاة أن يعتنوا بصلاح الأمة بقصص هؤلاء، وأن يبدأ بقصص الأنبياء؛ لأن الله ﷻ قصها على نبيه – عليه الصلاة والسلام –، واعتنى النبي ﷺ بذلك حتى في إخبار أصحابه – رضي الله عنهم وأرضاهم –.

وقوله: **[(لأطوفن الليلة على سبعين امرأة)]** فيه دليل على ما خص الله به الأنبياء من هذه القوة العظيمة: أنه يطوف في ليلة واحدة على هذا العدد من النساء! وهذا يتعذر أن يتيسر في المخلوق العادي، إنما هي قوة من الله ﷻ، وقد لا يستطيع الرجل أن يصيب المرأتين في الليلة الواحدة أو الثلاث – بالأكثر – أو الأربع! ولكن الله خصهم بهذه القوة العظيمة، وثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: أنه طاف على نسائه التسع ليلة أحرم – عليه الصلاة والسلام – من ميقات ذي الحليفة – كما في في حديث المنسك في حجة الوداع عنه عليه الصلاة والسلام –، وهذا لا يتيسر إلا في هؤلاء الذين خصهم الله ﷻ بهذه القوة. ثم كل واحدة تلد، ولا شك أنه من الصعوبة بمكان: أن يجامع الرجل هذا العدد من النساء ويحصل الإنزال والحمل لكل واحدة، وهذه قوة عجيبة! ولا شك أن الله ﷻ جعل في مثل هذا آية للعباد، وهي تصدق كونهم رسلًا، وأن الله ﷻ خصهم بهذه الخصائص من القوة الهائلة العظيمة. ثم انظر – رحمك الله – كيف كانت منازل الأنبياء حينما كانت أشجانهم كلها لله ﷻ، فهو يقسم أن يطوف على هذا العدد من النساء، لا لقضاء شهوة ووطر، ولا للتلذذ ولا للتباهي، ولكن لكي تلد كل واحدة منهن كل امرأة منهن تلد غلامًا يجاهد في سبيل الله، فالنية صالحة، والنية متوجهة للآخرة.

ومن هنا: كانت أمور الدنيا كلها تصاغ لمرضات الله ﷻ، فالدين هو الأساس، ومرضاة الله ﷻ هي القاعدة، والغاية والهدف يسخر لها كل ما يملك الإنسان من حول وقوة، وكل ما يجد من لذة وسرور وبهجة وشهوة، يأتي العبد الصالح ليلة زواجه ونكاحه، فتدخل عليه المرأة وهي من أجمل ما تكون مهيأة له، فإذا به يُذكرها بالنية الصالحة ويقول لها: أريدك زوجة لي تعينيني على طاعة الله وأعينك على طاعة الله، أريد بيتًا مسلمًا في محبة الله ومرضاة الله. تذهب الشهوات والملهيات ولا يبقى إلا ما

أريد به وجه فاطر الأرض والسماوات، فتصاغ كل الشهوات واللذات لمرضاة الله وحده، ويقول لها: "أريد بيتًا يرضي الله" فإذا به يستفتح بيته المبارك وزواجه المبارك بطاعة الله ومرضاة الله، فإذا وضع هذه اللبنة من تقوى الله: لن تمر عليه لحظة في بيته إلا وهي في ميزان حسناته عند الله؛ لأنه أراد بهذه النية الصالحة أن يبني بيتًا مؤسسًا على تقوى الله ﷻ، ومن أسس بنيانه على تقوى من الله ﷻ فلا ينهدم أبدًا، وهو الأساس المتين الباقي إلى يوم الدين، يوم لا ينفع الإنسان إلا ما قدمه لآخرته، وهي: النية الصالحة، وإرادة وجه الله بالصدق مع الله ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ جعلنا الله وإياكم من المخلصين الصادقين من عباده المؤمنين.

فكانت أشجانهم – صلوات الله وسلامه عليهم – كلها في طاعة الله، العبد الصالح يغار على الثانية قبل الدقيقة، والدقيقة قبل الساعة، والساعة قبل اليوم، واليوم قبل الأسبوع والشهر والسنة أن يمضي شيء من ذلك وليس له فيه نصيب من آخرته، ما خلق الله العباد عبثًا، ولا أوجدهم سدى! وهكذا كان الأئمة والصالحون والأتقياء الأبرار في كل زمان ومكان تدور أشجانهم وأيامهم ولياليهم ولذاتهم وسرورهم كلها في مرضاة الله ﷻ، وبهذه النية الصالحة يقدم الإنسان خيرًا كثيرًا، ومن هنا قال العلماء – وهي قاعدة –: نية المؤمن خير من عمله؛ لأنه يدرك بالنية ما لا يدركه بالعمل، ولو نوى حينما ينكح المرأة أن تنجب أولادًا، صالحين ويتمنى أن زوجته تخرج له ذرية صالحة تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتطيع الله ﷻ، وينتظر في كل يوم أن الله إذا رزقه ولدًا أن يجعله قرة عين لعباده الصالحين، وينتظر في كل يوم وفي كل صباح ومساء من ذريته إذا وهبه الله إياها أن يشكر هبة الله له، وأن الله لم يجعله عقيمًا لا ولد له، فيشكر الله ﷻ بأن يرى ابنه في مسجده وفي علمه وفي حفظه لكتاب الله ﷻ، كل هذا من صلاح النية، ومن صلحت لله نيته: بارك له قوله وعمله وسدده ووفقه، والعاقبة الصالحة والثمرة الباقية لا تكون بشيء أعظم من الإخلاص لله ﷻ وحسن المعاملة مع الله – سبحانه –، فرسم لنا أنبياء الله – صلوات الله وسلامه عليهم –.. لن تقرأ قصة من قصص الأنبياء إلا وجدت فيها شاهدًا من شواهد التوحيد والإخلاص لله ﷻ، والأدب مع الله ﷻ، ما اختار الله

هؤلاء عبثًا! ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ فهؤلاء هم الذين كانوا أكمل أدبًا مع الله، وأصدق رغبة فيما عند الله، وأصدق طلبًا في ثواب الله ﷻ وحسن المثوبة منه ﷻ، حتى كان الواحد منهم يتحرق – وربما يبكي – إذا فاته الأكمل والأفضل! فإن موسى – عليه السلام – لما مر عليه النبي ﷺ ليلة الإسراء بكى – عليه السلام – وقال – وقد ولى النبي ﷺ وتقدم –: "هذا الشاب – وفي بعض الروايات: هذا الغلام – يدخل من أمته الجنة أكثر من أمتي". وقد ذكر العلماء أن هذا البكاء منه غبطة للنبي ﷺ، فكانوا يتمنون الأكثر والأفضل في مرضاة الله ﷻ؛ لأنه يعلم أنه إذا كان أكثر تابعًا كان أعظم مقامًا عند الله ﷻ، ومن هنا قال ﷺ – كما في الصحيح –: (إني لأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة). فكانت أشجان الأنبياء، وأقوالهم وأفعالهم وشؤونهم، حتى شهواتهم ولذاتهم تصاغ في مرضاة الله، ويُطلب بها ما عند الله لا ما عند من سواه، نسأل الله أن يرزقنا حسن النية.

فابتلاه الله ﷻ بهذا البلاء ولم يقل: "إن شاء الله" **[(فطاف عليهن فلم تلد واحدة منهن إلا نصف إنسان)]** وعليه حمل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ فقالوا: إن هذا ابتلاء من الله ﷻ. وقصص الأنبياء مليئة بالعبر ومليئة بالعظات، وكل من يتأمل قصص الأنبياء فإنه سيجد الخير الكثير، فما من حال من أحوال الإنسان لا مع نفسه، ولا مع الناس، ولا فيما بينه وبين الله ﷻ، لا في حال شدة ولا في حال رخاء، إلا وقل أن لا يجد شاهدًا من قصص الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم –، فالحرص على قصص الأنبياء يحرص الإنسان على أن يقرأها؛ ليتزود بها في نفسه، ولينظر كل واحد منا ما الذي يعلمه من أخبار الأنبياء وقصصهم – صلوات الله وسلامه عليهم –، ولينظر كيف اعتنى رسول الله ﷺ بالقصة – بأفضل ما تكون القصة – حينما تحكى عن أفضل الرجال وأحبهم إلى الله ﷻ، وهم: الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم –، وهم صفوة الله من خلقه، الحرص على ذلك، ووصية: أن الإنسان لا يمر عليه شهر إلا وقد قرأ قصة من قصص الأنبياء،

بل إن استطاع لا يمر عليه أسبوع، وإن استطاع أن لا تمر عليه ليلة إلا وقد اكتحلت عينه بقراءة سيرة الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم –؛ لأن الله – تعالى – يقول: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ فهل هناك أحد يؤمن بالله واليوم الآخر لا يفتقر ولا يحتاج إلى ثبات قلبه؟! فإذا كانت قصص الأنبياء ثباتًا للقلوب، فوالله خليق بي أن لا يمر علي يوم إلا وأخذت بالسبب الذي يثبت الله به قلبي، خاصة إذا كانت من قصص سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين، وحبيب رب العالمين – صلوات الله وسلامه وبركاته التامة عليه إلى يوم الدين –؛ فإنها أنس من الوحشة، ورحمة من الله ﷻ للعبد، فمن أكثر من قراءة سيرة النبي ﷺ، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة: شرح الله صدره، ونور الله قلبه؛ لأن سيرته مليئة بالإيمانيات، وبالعبر والعظات. وبالأخص يوصى الإنسان إذا وفقه الله لقراءة سيرة الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم –: أن يعطر بها مجالسه، وما أحوج الأبناء والبنات، وما أحوج الصغار – خاصة في هذه الأزمنة – إلى أن يعرفوا سيرة هؤلاء، خاصة حينما كثر الغثاء وأصبح أبناء المسلمين وبناتهم لا يجدون من يذكرهم بقصص الأنبياء، بل قد يجد أباه وأمه لا يعرفان كثيرًا من قصص الأنبياء، وفاقد الشيء لا يعطيه! فحري بالمؤمن الموفق أن يكثر من ذكر أخبار الأنبياء وقصصهم؛ تأسيًا برسول الأمة ﷺ في عنايته بذلك، وهذا الحديث شاهد من شواهد السنة، نسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يوفقنا لذلك.

كان عبدالله بن عمر – كما ثبت في الرواية الصحيحة عنه عند البيهقي وغيره – إذا رقا الصفا يقول: "اللهم حببني إليك، وحببني إلى ملائكتك، وحببني إلى أنبيائك، وحببني إلى رسلك، وحببني إلى عبادك الصالحين، اللهم ارزقني حبك، وحب ملائكتك، وحب أنبيائك، وحب رسلك، وحب عبادك الصالحين". نسأل الله العظيم أن يكتب لنا ولكم ذلك وهو أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.